

معاني القرآن وإعرابه للزجاج

تقويم واستدراك

الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن

(فصلة من مجلة العرب/الرياض ج ٧-٨ س ٢٥ محرم/صفر ١٤١١هـ، آب/أيلول ١٩٩٠م)

معاني القرآن وإعرابه للزجاج

تقويم واستدراك

الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن

(فصلة من مجلة العرب/الرياض ج ٧-٨ س ٢٥ محرم/صفر ١٤١١ هـ، آب/أيلول ١٩٩٠ م)

«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج تقويم واستدراك

كتاب «معاني القرآن وإعرابه» لأبي إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج ،
المتوفى سنة ٣١١هـ أشهر كتبه ، وقد طال انتظارنا له حتى صدر كاملاً في خمسة
أجزاء ببيروت عام ١٩٨٨م بتحقيق الدكتور عبدالجليل عبده شليبي .
وبعد أن رجعتُ إلى الكتاب هالني ما فيه من نقصٍ ، وعدم اهتمام بالتحقيق ،
وألزمتُ نفسي بالإشارة إلى ذلك باختصار ، خدمةً للعلم والعلماء .
ويبدو لي أنّ المحققَ الفاضل لم يسبق له أن مارس هذا العمل ، لأنّه لم يلتزم

بأيسر قواعده المعروفة عند طلبتنا في الدراسات العليا .

وهأنذا أبدأ بالصفحة (٢) من الجزء الأول فأقول : إن المحقق سرد فيها كتب الزجاج من غير تنظيم ، ولم يشر إلى المطبوع منها والمخطوط والمفقود ، وفاته ذكر الكتب الآتية :

١ - «الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم» : وهو مخطوط في جوتا ٧٢٧ («بروكلمن» ١٧٢/٢) .

٢ - «الألفاظ» : مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط («تاريخ التراث العربي» ١٦٨/٨) .

٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى» : مطبوع بتحقيق أحمد يوسف الدقاق ، دمشق ١٩٧٥ م .

٤ - «كتاب الشجرة» المسمى بكتاب «التقريب» : مخطوط بالقيروان («بروكلمن» ١٧٣/٢) .

٥ - «المؤاخذات على الفصيح» أو «الرد على ثعلب في الفصيح» : ذكره الأنباري في «نزهة الألباء» ٢٤٤ . ومنه مختصر محفوظ في مكتبة جامعة استانبول («تاريخ التراث العربي» ١٦٩/٨) .

ثم ذكر في الصفحة (ج) مخطوطات الكتاب التي اعتمد عليها كما يأتي :

١ - نسخة (ط) مصورة في دار الكتب المصرية ، تفسير طلعت رقم ٤٦٧ ، من أول القرآن وتنتهي بوضع آيات من أول سورة هود .

٢ - نسخة (ب) مصورة من المكتبة العمومية باستامبول (بايزيد) رقم ٢٤٧ وبها الجزء الأول من الكتاب وينتهي بآخر سورة المائدة .

٣ - نسخة (ك) من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وتنتهي بوضع آيات من أول سورة الأنعام . مصورة من مكتبة كوبريللي (كذا) باستامبول رقم ٤٢ .

٤ - نسخة أخرى من (ب) من معهد المخطوطات العربية . وهي عديمة الفائدة لم نستفد منها كثيراً لرداءة التصوير والنقص .

٥ - نسخة من المعهد البريطاني تبدأ بسورة النساء وتنتهي بآخر القرآن الكريم .

٦ - نسخة (م) تبدأ بسورة النساء وتنتهي بآخر سورة هود .

وقد اعتبرنا النسخة (ط) أصلاً حتى نهاية سورة يونس ولكن أثرنا غيرها في مواضع قليلة نبهنا عليها .

ولنا على ما ذكر الملاحظات الآتية :

أولاً : قال عن نسخة (ك) : وتنتهي بوضع آيات من أول سورة الأنعام .
أقول : هذا خطأ ، والصواب أنها تنتهي بالآية ١١٩ من سورة المائدة .
والدليل على قولي ما جاء في آخرها : تمت المجلدة الأولى من «معاني القرآن»
ويتلوه السورة التي تذكر فيها الأنعام .

وكذا ورد في الجزء الثاني من المطبوع ص ٢٢٥ (ينظر : «فهرس مخطوطات كوبريلي» ٤٥/١) .

ثانياً : جاء في رقم (٤) : نسخة أخرى من (ب) من معهد المخطوطات ...
أقول : يجب إسقاط هذه النسخة إذ أنها دُكرت في الرقم (٢) أي نسخة بايزيد وهي صورة رديئة منها . وإنما ذكرها المحقق لزيادة النسخ .

ثالثاً : جاء في رقم (٥) : نسخة من المعهد البريطاني تبدأ بسورة النساء وتنتهي بآخر القرآن الكريم .

أقول : هذا ليس بصحيح ، فقد أُخِلَّت هذه النسخة بسورة الناس ، لأنها لو كانت تامة لما قال في الصفحة ٣٨١ من الجزء الخامس : إنَّ الزَّجَّاجَ لم يفسر سورة الناس . وسنأتي على هذا الوهم ، وثبت عدم صحته بعد انتهاء الكلام على مخطوطات الكتاب .

رابعاً : قال في رقم (٦) : نسخة (م)

أقول : هي نسخة دار الكتب المصرية المرقمة (١١١) تفسير .

خامساً : بعد النظر في المخطوطات المعتمدة تبين لنا أنها جميعاً غير تامة وثمة مخطوطات كثيرة للكتاب تامة وقديمة النسخ ، وهي في مُتَنَاولِ اليد ، إذ منها صور في معهد المخطوطات إلا أن الناشر لم يستقص ذلك ولم يتعب نفسه ، فجاءت نشرته للكتاب رديئة وناقصة في مواضع كثيرة .

سادساً : لم يصِفِ الناشرُ هذه المخطوطات : حَظُّها وَعَدَدُ أوراقها ، وتاريخ نسخها ، وغير ذلك ، وهذا من شروط التحقيق العلمي الرصين ، إذ نتبين من خلال هذا الوصف أهمية كلِّ مخطوطة .

سابعاً : جعل الناشر نسخة (ط) أصلاً .

أقول : هذه النسخة ناقصة ، كتبت سنة ٦١٧هـ («تاريخ التراث العربي» ١٧١/٨) . والتحقيق العلمي الرصين يعتمد على أقدم المخطوطات التامة .

ثامناً : أثبت الناشر في أول الكتاب ثلاث صور ، لم يذكر رموزها لتتبين أصولها ، عدا الصورة الثالثة إذ جاء في أعلاها : تفسير طلعت ٤٦٧ واختيار هذه الصفحة غير موفق ، إذ ليس فيها ما يشير إلى اسم الكتاب أو مؤلفه ، وإنما فيها نقول متأخرة عن وفاة الزَّجَّاج .

تاسعاً : أثبتُ فيها يأتي ما وقفت عليه من مخطوطات لكتاب «معاني القرآن وإعرابه» لم يقف عليها ناشر الكتاب :

١ - نسخة مكتبة جاز الله ٤٤ : وهي تَمَّةٌ لنسخة (ب) ، وتقع في ٢٣٠ ورقة ، وتاريخ نسخها ٣٦٨هـ .

٢ - نسخة المكتبة العامة بالرباط (أوقاف ٣٣٣) بعنوان : «إعراب القرآن» وهي في عشرة أجزاء ، وتاريخ نسخها ٣٨٢هـ . ومنها صورة في معهد المخطوطات العربية .

٣ - نسخة كوبريلي الثانية المرقمة ٤٣ ، وتقع في ٣٣٣ ورقة ، وتبدأ من سورة الرعد إلى آخر القرآن ، تاريخ نسخها ٣٩٥هـ . وهي النسخة التي أثبتنا صورة الصفحة الأخيرة منها .

٤ - نسخة طهران المرقمة ٤٦٨٥ ، تاريخ نسخها ٥٠٤هـ . ومنها صورة في معهد المخطوطات بالقاهرة .

٥ - نسخة نور عثمانية باستانبول ١١٥ نسخت في القرن الخامس .

٦ - نسخة نور عثمانية باستانبول ٣٢٠ نسخت في القرن الخامس .

٧ - نسخة السليمانية المرقمة ١٨٩ ، تاريخ نسخها ٥٨٩هـ .

٨ - نسخة أحمد الثالث المرقمة ١٢٣ ، تاريخ نسخها ٥٩٣هـ .

٩ - نسخة المكتبة الظاهرية المرقمة ١٨١ ، نسخت في القرن السادس الهجري .

١٠ - نسخة سراي الأمانة المرقمة ٥٥٩ ، نسخت سنة ٦٦٣هـ .

١١ - نسخة أحمد الثالث المرقمة ١٢٢ ، نسخت في القرن الثامن .

١٢ - نسخة قرة مصطفى المرقمة ٩٦ .

١٣ - نسخة قرة مصطفى المرقمة ٩٧ .

عاشراً : زعم المحقق أنَّ الزَّجَّاجَ ترك إعراب سورة الناس ، لذا فقد كره أن يَدْعَهَا بلا تفسير ، فشرحها شرحاً لغوياً قريباً من طريقة الزَّجَّاجِ كما زعم .

أقول : وهم المحقق في ذلك ، وَتَجَنَّى على الزجاج ، رحمه الله ، إذ إنَّه لم يتركها ، وفي آخر البحث النص التام لشرح هذه السورة وإعرابها مع صورة الصفحة الأخيرة من نسخة كوبريلي المرقمة ٤٣ والتي فيها هذه السورة .

أما الشرح الذي قام به المحقق فليس فيه ما يَدُلُّ على نهج الزَّجَّاجِ ، وكان الأولى للمحقق أن يُنقِرَ في كتب إعراب القرآن والتفاسير والمعجمات عن رأي الزَّجَّاجِ وأقواله في إعراب هذه السورة ، وللزَّجَّاجِ أقوال في هذه السورة نجدها في الكتب الآتية :

١ - «تهذيب اللغة» للأزهري ١٣٦/١٣ (وسوس) وفيه : (قال الله عز وجل :

﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾ . قال أبو إسحاق : الوسواس : ذو

الوسواس ، وهو الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس) .

٢ - «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي ٢٧٨/٩ وفيه : (قال الزَّجَّاج :

الوسواس هنا : ذو الوسواس) .

سورة النَّاسِ ﴿١﴾ مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْوَسْوَاسِ﴾ : هو الشيطان ، يقال وسوس في صدره وسوس إليه ، والوسوسة الكلام الخفي في اختلاط ، والوسواس اسم منه - وفُسرَت هنا بأن المعنى من شر ذي الوسواس ، أي الشيطان . فيكون الوسواس مصدرأ ، وهذا الوزن يأتي في المضعف نحو زلزال وهو قليل من غيره نحو تحنان .

﴿الْحَنَاسِ﴾ : صيغة مبالغة من حنن بمعنى انقبض وتأخر ، والمصدر حنوس - كجلوس والمادة كلها تدور على هذا الأصل ؛ فالنجوم الحنُسُ هي التي تخنس عن مجراها وتختفي بضياء الشمس ، وفي الحديث : الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس ، أي انقبض وتأخر ، والخنس في الأنف تأخره إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة .

﴿وَالجِنَّةِ﴾ الجن ، وسبق اللفظ كثيراً .

وذكر الجنة والناس للاستعاذة بكل ما يوسوس بسوء سواء كان من الشياطين أو الأناسي .

(*) سبق أن الزجاج لم يفسر هذه السورة ، وكرهنا أن ندعها بدون تفسير فشرحنا هذه الكلمات شرحاً لغوياً قريباً من طريقته .

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وصلَّى اللهُ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه .

الصفحة الأخيرة من المطبوع

النَّاسِ

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ • مَلِكِ النَّاسِ • إِلَهِ النَّاسِ • مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ (١) .

الْوَسْوَاسِ : ذو الوسواس ، وذَا الحَنَاسِ : وهو الشيطان ﴿ الذي يوسوس في

صدور الناس ﴾ (٢) .

وقيل في التفسير: إِنَّ لَهُ رَأْسَ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ يَخْتُمُ عَلَى الْقَلْبِ ، فإذا ذَكَرَ اللهُ الْعَبْدُ تَنَحَّى وَخَنَسَ ، وإذا تَرَكَ ذَكَرَ اللهُ رَجَعَ إِلَى الْقَلْبِ يُوسُوسُ .

وقوله : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾^(٣) .

قِيلَ : النَّاسُ هَاهُنَا يَصْلُحُ لِلجِنَّةِ وَالإِنْسِ . المعنى على هذا القول : يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ الَّذِينَ هُمْ جِنَّ ، وَيُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ .

والتأويل عند أبي إسحاق غيرُ هذا ، المعنى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ مِنَ الْجِنَّةِ الَّذِي هُوَ الْجِنُّ . (وَالنَّاسُ) مَعْطُوفٌ عَلَى (الْوَسْوَاسِ) . المعنى : مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ .

قال أبو إسحاق : وهذا المعنى عليه أمر الدعاء ، إِنَّهُ يُسْتَعَاذُ مِنْ شَرِّ الْجِنَّةِ وَالإِنْسِ ، ودليلُ ذلك ، ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾^(٤) .

آخر كتاب معاني القرآن والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله الطيبين ، وسلم تسليمًا .

ابتدا أبو إسحاق إبراهيم بن السري النحوي الزجاج في إملاء هذا الكتاب في صفر من سنة خمس وثمانين ومئتين وأتمه في شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثلاث مئة ، وكتب في دمشق جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وثلاث مئة . رحم الله من دعا لكتابه بالرحمة والمغفرة ولجميع أمة محمد .

ملاحظات عامة على التحقيق :

عند قراءتي للأجزاء الخمسة من «معاني القرآن وإعراجه» تجمعت لدي ملاحظات كثيرة جداً سأكتفي بالإشارة إليها على أمل صدور طبعة جديدة محققة تحقيقاً علمياً على أصول جديدة تامة ، لأن المحقق الفاضل وقع في أخطاء تنم عن جهله بأصول التحقيق العلمي ، وعسى أن يقوم بتحقيق الكتاب من هم مظنة القدرة على التحقيق ، فقد كثرت المسئلة على هذه الصنعة .

أما هذه الملاحظات فهي :

أولاً : اعتمد المحقق على خمس نسخ ناقصة ، فجاءت نشرته رديئة فيها نقص ، وثمة نسخ كثيرة تامة وقديمة أهملها المحقق وقد أشرنا إليها ، وهذا مخالف لأصول التحقيق العلمي السليم .

ثانياً : أهمل المحقق ترقيم الآيات القرآنية الكريمة في السور جميعاً ، فقلت الفائدة من الكتاب ، وصعب الوقوف على الآيات المطلوبة .

ثالثاً : الكتاب في التفسير والإعراب ، وثمة آراء وردت في الكتاب بحاجة إلى توثيق من التفاسير وكتب إعراب القرآن ، ولكنه أهمل ذلك .

رابعاً : في الكتاب كثير من القراءات بحاجة إلى معرفة من قرأ بها ولكن المحقق الفاضل لم يعتمد على أي كتاب في القراءات القرآنية .

خامساً : وردت أقوال كثيرة لسيبويه تركها المحقق من غير الرجوع إلى كتابه ، على سبيل المثال لا الحصر ماجاء في ٤١/١ : وزعم سيبويه أن معنى الباء الإلصاق . وقول سيبويه في كتابه ٣٠٤/٢ (بولاق) و ٢١٦/٤ (هارون) ونصه : وباء ألجراً إنما هي للإلحاق والاختلاط .

سادساً : أهمل تخريج كثير من الشواهد الشعرية . على سبيل المثال بيتا الشياخ في ١٦٩/١ - ١٧٠ .

سابعاً : أهمل تخريج الأحاديث الشريفة ، على سبيل المثال ماجاء في ٤٢٣/١ .

ثامناً : لم يرجع إلى دواوين الشعراء ، واكتفى بتخريج الأبيات من «اللسان» وغيره ، على سبيل المثال :

— الأعرشي ٤٨٥/١ و ٢٧٤/٥ .

— قيس بن الخطيم ٣٥٠/١ و ٤٤٥/٢ و ٢٤٢/٤ .

— الخطيئة ٢١٠/١ .

— العجاج ٣٠٥/٥ . . . الخ .

تاسعاً : تخبط المحقق في استعمال المصادر ، فقد اعتمد على ثلاث طبعات لكتاب سيويه ، طبعة باريس وطبعة بولاق وطبعة هارون ، أشار إليها أحياناً وتركها أحياناً من غير ذكر الطبعة ، وهذا مما يشكل على القارئ . ولا أدري ما الفائدة في الاعتماد على ثلاث طبعات إذا لم يكن ثمة خلاف بينها .

عاشراً : لم يتبع التسلسل الزمني في المصادر ، فنراه مثلاً في ٢٤٢/٤ يخرج بيتاً لقيس بن الخطيم على الوجه الآتي : البيت في ابن يعيش . . . و« أمالي ابن الشجري » . . . و« كتاب سيويه » . . . ، والصواب : « كتاب سيويه » ثم « أمالي ابن الشجري » ثم ابن يعيش ، لأن الفضل للمتقدم .

حادي عشر : أفرد لكل جزء فهارس خاصة به اقتصرت على البحوث اللغوية والأبيات الشعرية وأنصاف الأبيات والأعلام المترجمة والمحتويات . والفهارس يجب أن تكون موحدة في آخر الجزء الخامس .

ثاني عشر : سرد المحقق مراجع التحقيق والشرح غفلاً ، علماً بأنها قد طبعت أكثر من مرة ، منها على سبيل المثال لا الحصر « الاتقان » فقد طبع مرتين والأخيرة هي المعتمدة بتحقيق أبي الفضل .

— « أخبار النحويين البصريين » : طبع أولاً بتحقيق كرنكو ، ثم بتحقيق د. طه الزيني ود. محمد عبد المنعم خفاجي ، وأخيراً بتحقيق د. محمد إبراهيم البنا .

ولم يحسن المحقق ترتيب هذه المصادر فطبقات الشعراء عنده قبل جمهور (كذا ! والصواب : جمهرة) أشعار العرب . وجاء « المزهر » قبل « كتاب سيويه » . وجاء « معاني القرآن » قبل « مجاز القرآن » فتأمل .

وقال : « شرح العشر المعلقة » : للزوزني . وهو وهم فالزوزني شرح المعلقة السبع لا العشر .

وقال : « شرح شواهد المغني » : للسيوطي ولمحمد الأمير . والصواب أن محمد الأمير كتب حاشية على المغني وليس له شرح لشواهد .

وبعد فهذا غَيْضٌ مِنْ قَيْضٍ مما جاء في هذا الكتاب النفيس ، وما كان هذا العمل ليدفعني إلى الاهتمام به لولا أنَّ لي عناية خاصة بكتب إعراب القرآن الكريم ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

د. حاتم صالح الضامن

كلية الآداب - جامعة بغداد

مصادر البحث ومراجعته :

- المصحف الشريف .
- وتاريخ الأدب العربي: بروكلمن ، ت ١٩٥٦م ، ترجمة د. عبدالحليم النجار ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .
- وتاريخ التراث العربي: سزكين ، ترجمة د. عرفة مصطفى ، المجلد الثامن (علم اللغة) ، الرياض ١٩٨٨م .
- والتبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري ، عبدالله بن الحسين ، ت ٦٦٦هـ ، تح البجاوي ، مط عيسى البابي الحلبي بمصر .
- تفسير الطبري وجامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر الطبري ، محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤م .
- وتهذيب اللغة: الأزهرى ، محمد بن أحمد ، ت ٣٧٠هـ ، القاهرة .
- وزاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، ت ٥٩٧هـ ، دمشق ١٩٦٥م .
- وفهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن الكريم): صلاح الخيمي ، دمشق ١٩٨٤م .
- وفهرست مخطوطات كوبريلي: استانبول ١٩٨٠ .
- وفهرست المخطوطات والمصونات (التفسير وعلوم القرآن): الرياض ١٩٨٢م .
- والكتاب: سيبويه ، عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠هـ ، بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧هـ .
- ومسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل : الرازي ، محمد بن أبي بكر ، ت بعد ٦٦٦هـ ، تح إبراهيم عطوة عوض ، مصر ١٩٦٦م .
- ومشكل إعراب القرآن: مكّي بن أبي طالب القيسي ، ت ٤٣٧هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٤م .
- ومعاني القرآن: أنفراء: مجيبي بن زياد ، ت ٢٠٧هـ ، تح د. عبدالفتاح إسماعيل شليبي ، القاهرة ١٩٧٢م (الجزء الثالث) .
- ومعاني القرآن وإعرابه: الزنجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، ت ٣١١هـ ، تح د. عبدالجليل عبده شليبي ، بيروت ١٩٨٨م .

الحواشي :

- (١) الآيات ١ - ٤ . وينظر : ومعاني القرآن ٣/٣٠٢ وتفسير الطبري ٣٥٤/٣٠ ومشكل إعراب القرآن ، ٨٥٦ والتبيان ١٣١١هـ .
- (٢) الآية ٥ . (٣) الآية ٦ . (٤) (الفلق) ٢ .